دراسة لقصدية الكلام في كتاب الخصائص

د/ حسام جايل عبدالعاطي
مدرس اللغويات
كلية الألسن، الأقصر

الملخص:

يعد أبو الفتح ابن جني واحدًا من نحاة العرب القدماء الذي عنوا بتحليل النص من جوانبه اللغوية، وغير اللغوية، المتمثلة في المبدع، والمتلقي، والجو المحيط أو (السياق) المفسر لذلك النص اللغوي. وقد تناول هذا البحث الكيفية التي نظر بها ابن جني إلى اللغة، وكيف فسر لغة المتكلم، ومن هنا تناول البحث مفهوم القصدية عند ابن جني، وآراءه فيها، ومدى اتفاقه أو اختلافه مع الدراسات النصية الحديثة، وقد قسم البحث القصدية عند ابن جني إلى (قصدية النية)، بوصفها المحرك الرئيس للاستعمال اللغوي في التعبير باللغة عن أغراض المتكلمين. و(قصدية الأدوات أو الوسائل) في اللغة، بدءًا من الحرف والصوت، وتعريجًا على اللفظ أو الكلمة، وانتهاء بقصدية التركيب النحوي.

وكان من أهم نتائج هذه الدراسة تلاقي آراء ابن جنى عن قصدية المتكلم مع أحدث النظريات اللغوية الحديثة، ولعله سبقه- بحكم تقدمه الزمني عليها- إلى أن اللغة أفعال كلامية منجزة في سياقاتها الملائمة، وأن القصدية كامنة وراء كل صوت لغوي، ولفظ مفرد، وتركيب نحوي يتكلم به المتكلم.

الكلمات المفتاحية:

ابن جني- نحو النص- القصدية- تحليل الخطاب- الخصائص- اللسانيات- علم النص

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Intentionality of Ibn-Jinni

Abul-Fath Ibn-Jinni is one of the ancient Arab grammarians who analyzed the text in its linguistic and non-linguistic aspects, namely, the author, the recipient, and the atmosphere or (context) which interprets that text. This study (Intentionality of Ibn-Jinni) examines Ibn-Jinni's concept of intentionality, his views on it, and his agreeing or disagreeing with modern textual studies. The intentionality of Ibn-Jinni was divided into (intentionality of intent), as the main driver of linguistic use in the expression of speakers' purposes; and (intentionality of tools) in language, from letter and sound, to articulation or word, to grammatical structure.

One of the most important findings of this study was the convergence of Ibn-Jinni's opinions with the most recent linguistic theories. Perhaps he was the first, by virtue of time, who found that language represented performed speech acts in their appropriate context, and that intentionality lay behind every linguistic sound, word and grammatical structure.

إشكالية البحث:

يبحث هذا البحث في كيفية تعامل واحد من أهم علماء العربية، مع المعطيات اللغوية في عصره وفي المدونة اللغوية بشكل عام، وكيف يفسر ما جاء في القرآن والشعر العربي، وما جاء على لسان فصحاء العرب، وكيف وجه أو نظر إلى ما جاء مغايرا للقاعدة النحوية وطرائق العرب في

كلامها، وكيف يرى أن العربي صاحب السليقة اللغوية لا يتفوه بحرف أو كلمة أو جملة إلا وهو يريد بذلك معنى لا يعبر عنه إلا بهذه الكيفية التي تفوه بها، ومن ثم فإن القصد كامن وراء كل ما يتفوه به العربي.

المقدمة:

حاولت الدراسات اللسانية الحديثة- منذ ظهورها وحتى الآن- أن تجمع شتات الدراسات اللغوية، وتعيد إليها ترابطها وانسجامها؛ وذلك بعدما أدت دقة التخصص إلى كثرة التفريعات، والخروج عن الأصل؛ الأمر الذي نتج عنه عزلة أو شبه عزلة لفروع علوم اللغة- في كثير من الأحيان- مما جعلها تبدو كجزر منعزلة لا يربط بينها جسر معرفي أو رابط ما.

ولا شك أن اللغة العربية قد أفادت من هذه الدراسات، وتلك الاتجاهات، كما أن هذه الاتجاهات قد أظهرت موقع اللغة العربية على خريطة التطور اللغوي، وأظهرت وعي الباحثين العرب (اللغويين والنحاة والبلاغيين) بشمولية اللغة واتساق فروعها والتكامل بينها، كما بينت وعي علماء الأصول بالحركة العقلية للغة.

ويعد علم النص وتحليل الخطاب- في إطار اتجاه التداولية- نقلة نوعية في هذا المجال وفق معايير علم النص التي تحدد إطارا حاكما للنص، وتكسبه نصيته فلكي يكون النص نصًّا متحقق النصية؛ لا بد من توافر معايير سبعة؛ هي التي تحقق له نصيته المنشودة كما يرى دي بو جراند Robert De Beau Grand. هذه المعايير هي المكونات التي تجعل النص كلا موحدًا متماسكًا دالا، لا محض سلسلة من الكلمات والجمل المترابطة"[١] ومن هذه المعايير معيار القصدية Intentionalityوهذا المعيار وثيق الصلة بمنتج النص؛ كاتبا كان أو متكلما [٢].

وإذا كانت هذه المعايير السابقة قواعد تأسيسية لعملية الاتصال؛ فإن هناك قواعد أخرى تنظيمية هي" جودة النص التي تعتمد على استعماله في الاتصال مع بذل أقل قدر ممكن من الجهد من قبل المشاركين.. إضافة إلى فعالية النص؛ التي تعتمد على أن يترك النص انطباعا قويا، وعلى خلقه شروطا مفضلة لبلوغ هدف ما، والقاعدة التنظيمية هي ملاءمة النص، وتعني التوافق بين مقام النص من جهة ووسائل المحافظة على معايير النصية من جهة أخرى [٣].

وبالنظر إلى التراث اللغوي النحوي العربي نجد أن علماءنا القدماء لم يألوا جهدا في الاهتمام بالنص، والعناية بكل جوانبه التي تشمل كلا من (النص والمبدع والمتلقي والجو المحيط أو السياق).

ويحاول هذا البحث أن يستعرض جهود أحد اللغوين والنحاة العرب في هذا المجال وهو ابن جني؛ وذلك من خلال بحث مفهوم القصدية لديه واستعراض آرائه فيها، وقد كان الدافع لذلك ما جاء في كتاب الخصائص من توجيه كل ما يخرج من المتكلم/ العربي الفصيح وتوجيه هذا الكلام بما يتناسب مع الغرض من كلامه، بل إن الأمر وصل إلى التماس أو تبرير وتأويل كل من الخطأ النحوي والخطأ اللغوي متعللا بأنه/ العربي صاحب اللغة وابن جلدتها وأنها لو أراد أن يقول غير ذلك لقال؛ ولكنه عبر بهذه الطريق دون سواها من الأجل المعنى الذي أراده.

*** مفهوم القصدية:**

القصد لغة: استقامة الطريق. قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدا فهو قاصِد، والقصد: الاعتماد والأَمُّ، والقصد: إتيان الشيء.. وقصَدْتُهُ وقَصَدتُ له، وقصدتُ إليه بمعنى.

وقَصَدت قَصْده: نحوتُ نحوه.

والقصيدُ من الشّعر: ما تم شطر أبياته، وقال ابن جني سمى قصيدا لأنه قُصِدَ واعتُمِدَ...وقيل سمى قصيدا؛ لأن قائله احتفل له فنقحه باللفظ الجيد، والمعنى المختار... وقيل لأنه جعله من باله فقصد له قصدا ولم يحتسه حسيا على ما خطر بباله وجرى على لسانه، بل روّى فيه خاطره واجتهد فى تجويده ولم يقتضبه اقتضابًا فهو فعيل من القصد وهو الأَمُّ.. وقَصَّد الشاعر وأقصد أطال وواصل عمل القصائد [٤].

وقال ابن جني[٥]: أصل " ق. ص. د "ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء". والقصد: إتيان الشيء... وقصد قصده أي نحا نحوه[٦].

"وقصد الطريقُ..: استقام، والشاعر أنشأ القصائد وله وإليه توجه إليه عامدا"[٧].

وجملة القول فيما سبق أن القصد هو التوجه والأَمُّ عن عمد وقصد، ورغبة واحتشاد.

*** القصد اصطلاحا:** هو: قصد منشئ النص إلى أن تكون صورة من صور اللغة تشكل نصا؛ هذا النص يحمل رسالة معينة، وهو أيضا وسيلة أو إجراء من مجموعة من إجراءات أو رسائل معينة بغية الوصول إلى غاية أو هدف معين [٨]. وهذا تعريف رقية حسن وهاليداي، وهو مأخوذ من تعريف دي بو جراند الذي ينص على أن القصد INTENATIONALITY يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة INSTRUMENT من وسائل متابعة خطة معينة

للوصول إلى غاية بعينها.. وهناك مدى للتغاضي TOLERANCE في مجال القصد، ويرى أن القصد يظل قائما من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة. وهذا التغاضي عامل من عوامل ضبط النظام SYSTEMIC REGULATION.. يتوسط المرتكزات STRATEGIES اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف (٩).

وبالنظر في السطور السابقة نجد أن كلا من المعنيين؛ اللغوي والاصطلاحي يتفقان على أن القصد هو التوجه والرغبة والإتيان عن قصد وتعمد.

***نظرة تاريخية للقصدية**:

لقد كان القصد أحد المحاور التي اهتم بها القدماء نحاة وبلاغيين؛ وذلك من خلال حديثهم عن الغاية من الكلام، وتخريجهم للأبيات الشاذة، والضرورة الشعرية (١٠)، وكذلك بعض القراءات (١١). فسيبويه يهتم إلى حد بعيد: "بموقف الاستعمال ودلالة الحال التى ينطق فيها الكلام، وما يحيط بتلك الحال من ظروف وملابسات، حتى جعلها فى كثير من الحالات فيصلاً فى الحكم بصحة التراكيب النحوية من خطئها"(١٢). ويعنون بابا فى كتابه تحت مسمى "هذا باب ما يحتمله الشعر" ويقرر أن للشعر لغته الخاصة ونظامه الخاص، بل نجده منحازا إلى فكرة القصدية بقوله "وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها"(١٣). فإن المتأمل فى هذه العبارة لا يخفي عليه ما فيها من وقوف ومساندة إلى فكرة القصدية، وأن الشاعر لا يقول كلامه عفو الخاطر، ولا يأتي به على طريقة معينة إلا لأنه يريد أن يقول شيئا معينا لا يقال إلا بهذه الطريقة وليس بطريقة سواها (١٤). ويوجد في الكتاب الكثير من المواضع الأخرى التى يركز سيبويه فيها على قصد المتكلم، ونيته، وما يريد أن يقوله (١٥)، وأن يوصله للسامع، وبعض هذه المواضع نلحظ فيها أكثر من وجه إعرابي، ويكون مرد الأمر فى ذلك كما سبق هو الاهتمام والعناية وقصد المتكلم (*).

وبعد سيبويه نجد كثيرا من النحاة قد أولوا القصد عنايتهم، وبنوا عليه أمورا وجعلوه، حدًّا للكلام، كما جعلوه حدا فاصلاً للحكم بحجية بعض التراكيب من عدمها، وكذلك جعل الجرجاني القصد مانعا للتناقض داخل النص على المستويين النحوي والدلالي، وتحديد معاني الحروف، وترجيح أحد الأوجه الإعرابية، وتوجيه بعضها الآخر، ومن هؤلاء أيضا ابن مالك (١٦)، والأشموني الذي أخرج من الكلام ما يصدر من الساهي والنائم لانعدام القصد (١٧)، والسيوطي (١٨)، وغير أولئك من النحاة.

وكما أسلفنا سابقا فإن الأمر لا يقف عند النحاة ولا يقتصر عليهم، بل إن البلاغيين قد أدلوا بدلوهم فى ذلك المجال، وكذلك المفسرين ولاسيما علماء الأصول [١٩]، فعبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن" جوهر الكلام هو الكلام النفسي، وأما الكلام اللفظي فهو ظل لهذا الكلام النفسي"[٢٠]، ويقترح عبد القاهر الجرجاني أربع مراحل للصياغة هى: "النظم، والبناء، والترتيب، والتعليق [٢١]. ويأخذ في في الحسبان الوجود السابق للكلام في نفس المتكلم،" ومن ثم فإن القصد عملية معقدة فهو يبدأ من عملية نفسية يقع فيها ترتيب الدلالات النفسية، واختيار المناسبة لها، يعقبه وجود فعلي للمنطوق، وهو ما عناه بالكلام، حيث يتحقق وجود فعلي للائتلاف بين المعاني ويكون ترتيب الألفاظ تبعا له"[٢٢].

ومن هنا يمكن القول بأن هناك عدة عناصر تدخل في نظرية القصد وتسهم في تكوينها؛ ومن هذه العناصر أو المكونات: قصد المتكلم(المعنى الذي يريد التعبير عنه أو الغرض)، والبناء اللغوي للنص(النص الذي أخرجه المتكلم في سلسة متصلة من الجمل)، وقدرة المخاطب(الوسائل والإمكانيات التي يتمتع بها المخاطب لتساعده على فهم المعنى المارد أو قصد المتكلم)، ويدخل في تشكيل كل مكون مجموعة من العناصر والعوامل والعمليات [٢٣].

ولا شك أن عبد القاهر قد قرأ ابن جني وفهمه وإن لم يشر إليه في كتاباته [٢٤]. والمتأمل في كلام عبد القاهر يجد له أصولا وبدايات في كتابات ابن جني، بل هناك ألفاظ وجمل ذكرها ابن جني تتكرر لدى عبد القاهر، ناهيك عن الأفكار والرؤى، ومع ذلك لم يشر عبد القاهر أية إشارة إلى ابن جني.

وإذا عدنا إلى شيخنا ابن جني وجدناه يهتم بالقصدية، ولا يني ينبه عليها إما بالتصريح، أو بالتلميح في ثنايا كتابه الخصائص. ويعتبر الرجل أفضل من تلقف فكرة القصد من سيبويه، وأقام عليها الحجج والبراهين وأيد كلامه بالشواهد والأدلة. ولا إخالني مبالغا حينما أقول إن اهتمام ابن جني بالقصدية يتضح من إبانته عن الغرض من تأليفه لخصائصه حيث يقول: إن الداعي إلى تأليف كتاب الخصائص هو" أنه لم ير أحدا من علماء البلدين (البصرة والكوفة) تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه" [٢٥].

ولا شك أن مذهب الأصوليين والفقهاء والمتكلمين يبحث عن العلل والمقاصد.

كما يتضح كذلك من تعريفه للنحو بأنه" انتحاء سمت كلام العرب في تصرفاته من إعراب وغيره.." [٢٦].

كما يظهر ذلك من تعريفه للغة بأن" حدها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[٢٧].

فانتحاء السمت لا يكون إلا عن قصد وتعمد، وكذلك فإن التعبير عن الأغراض يستلزم كلاما من حقل دلالي معين، وطريقة متخيرة من التراكيب تناسب الغرض وتناسب كذلك ثقافة المتلقي، وهذا هو عين القصد.

ونجد ابن جني في إطار حديثه عن ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية؟ وانتصاره إلى أنها أقرب إلى علل المتكلمين لأنهم يحيلون على الحس.. ويذكر كلام ابن أبي إسحاق في رفع الفاعل ونصب المفعول، فعباراته وتأويلاته انتصار لفكرة القصد. ويستشهد الرجل بعبارة سيبويه الخالدة "وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها [٢٨].

بل إن الرجل يستخدم صراحة كلمة القصد والغرض والقصود في شرحه وتعليله وتفسيره؛ كقوله: " فإذا غمض عليك شيء من أغراضها وقصودها.." [٢٩]. بل إنه يحث على البحث عن القصد وراء الكلام." ومن ذلك قوله: " والذي يدل على أنهم أحسو ما أحسسنا وأرادوا ما أردنا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان ... فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها "..." ويكمل إلى أن يقول: فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ... والشواهد غير ذلك كثيرة [٣٠]. بل نجده يعقد بابا صراحة ليدل على ما أراد، ويسميه (باب في أن العرب أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها) [٣١].

وهو عندما لا يستخدم تلك الكلمات؛ القصد والغرض والقصود، يستخدم كلمة الإرادة أو أحد مشتقاتها: كقوله: " اعلم أن واضع اللغة أراد كذا لكذا" [٣٢]. وكقوله في باب الحمل على أحسن الأقبحين: "إن العرب أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها"[٣٣]. وكقوله".. واعلم أن هذا موضع في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة وللنفس به... لأن فيه تصحيح ما ندعيه على العرب من أنها أرادت كذا لكذا، وفعلت كذا لكذا" [٣٤]. ويذكر قصة الشعر، وما رواه

المتنبي في رحلته إلى مصر، وكلها حكايات تدل على العناية بالقصد الاهتداء أو محاولة الاهتداء إلى قصد المتكلمين بغرض فهمه وتفسيره، والشواهد على هذا كثيرة جدا.

وعلى أية حال فإن إنعام النظر في كلام ابن جني ووجهة نظره في اللغة، يجعل من الممكن أن نقسم كلامه في القصد إلى قسمين وهما: قصدية النية، وقصدية الأدوات، وذلك على النحو الآتي:

**** أولا قصد النية:***

من خلال القراءة والبحث في خصائص ابن جني اتضح أن القصد ينقسم عنده إلى قصد نية، وقصد أدوات؛ وتأتي النية على رأس أوليات ابن جني بالقصدية، وهذا أمر طبيعي لأنها أي النية: هي المحرك الرئيسي والمحدد الأول لنوع الجنس الأدبي [٣٥]. ويتضح اهتمام أبي الفتح بالنية من تعريفه للغة وذلك حيث يرى أن حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

وفي توظيفه لعبارة سيبويه" وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها" وكذلك في حديثه عن تخصيص العلل أكلامية هي أم فقهية.

ومما يدل على ذلك؛ ما ذكره من أنه روي عن العرب ما حكاه الأصمعي عن أبي عمرو قال: سمعت رجلا من العرب يقول: فلان لغوبٌ جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول كتابي! قال نعم أليس بصحيفة [٣٦]. هنا نجد أن هذا التفسير اعتمد على قصد المتكلم من اعتبار الكتاب صحيفة ولذلك أنث فعلها مما يدل على اعتبار نية المتكلم هي أولى خطوات القصد للتعبير عن غرضه.

ويروي عن أبي بكر بن العباس قال: سمعت عمارة بن عقيل قرأ:(وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَار) [٣٧] فقال له ما تريد؟ فقال: أريد سابقٌ النهارَ. فقال له: فهلا قلته؟ فقال لو قلته لكان أوزن [٣٨] ... ففي القصة لنا ثلاثة أغراض مستنبطة.. منها، إنها فعلت كذا لكذا ألا تراه إنما طلب الخفة بدليل قوله لكان أوزن.

وكذلك عندما يقول: فليت شعري لو شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين (يعني الكوفة والبصرة) وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات؛ فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها.." [٣٩]

وهذا كلام صريح لا يحتاج إلى تأويل أو جهد لنفهم تعويل ابن جني، واعتماده في فهم الغرض على نفسية المتكلم ونيته، أي قصد النية كما أوضح البحث.

ويؤكد ابن جني ما ذهب إليه من أهمية قصد النية ومحاولة استبطان غرض المتكلم، والتعويل عليه في فهم الكلام وتفسيره بقوله: وهذا الباب كله من هذا القبيل وسألت الشجري [٤٠] يوما فقلت: كيف تقول ضربت أخاك؟ فقال كذا... القصة.. فقال: إيشٍ ذا! اختلفت جهتا الكلام. ويقول ابن جني معقبا: فهل هذا في معناه إلا كقولنا نحن: صار المفعول فاعلا.. ''وقصة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام مع بني غيان.. وقوله" **إنما سميت هانئًا لتهنأ** [٤١].

وخلاصة القول في السطور السابقة أن ابن جني إنما يعول على قصد المتكلم، ونيته في فهم المراد من كلامه، وغاياته منه، وفي سبيل ذلك ضرب عددا من الأمثلة، وروى كثيرا من الحكايات التي جاءت عن العرب الفصحاء.

**** ثانيا قصدية الأدوات:***

إن أول شيء في القصد هو قصد النية؛ أي تعمد المتكلم أن يكون كلامه بهذه الطريقة، ثم يلي ذلك الاحتشاد من تخير لأدوات الكلام، والقصد إليها، فبعد أن يهم الكاتب بكتابة عمل إبداعي فإنه يعمد إلى مجموعة من الأدوات والوسائل والإجراءات اللغوية، وغير اللغوية بغية إيصال رسالته للمتلقي، وقصدية الأدوات لدي ابن جني متعددة ومتنوعة فهي تشمل عنده الحرف أوالصوت واللفظ والتركيب، والعلامة الإعرابية كذلك، والسياق وحال المخاطب والحذف وكثيرا من الأبواب التي سنعرض لها فيما يأتي:

*** الحرف أو الصوت:**

هناك العديد من البحوث والدراسات التي تناولت الصوت وأثره، وقيمته في النص الأدبي [٤٢]. وقد أفاد الكثير منها من جهود القدماء؛ ومنهم ابن جني وبعضها كان وقفا على دراسة جهود الرجل في دراسة الصوت [٤٣].

وقد اهتم اللغويون والنحاة بالأصوات" بوصفها مدخلاً لدراسة الصرف من إدغام وإعلال وإبدال، ونحو؛ فسيبويه " يتحدث في باب الإدغام عن عدد حروف العربية ومخارجها وصفاتها، ثم يقول في نهاية الباب [٤٤]. "وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك، ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالاً كما تدغم، وما تخفيه، وهو بزنة المتحرك"، وقد تابع علماء اللغة سيبويه ففصلوا "القول في وصف مخارج الحروف

وصفاتها فرادى، ثم تناولوا بالدراسة ما رواه فيها داخلاً في حيّز الإدغام، كما فهموه، وذلك مثل إدغام المتماثلين مخرجًا والمتقاربين مخرجًا والمشتركين في طرف اللسان، ثم الإدغام بالصفة مثل إدغام المجهور والمهموس معًا بأن يصيرا معًا إلى الجهر أو إلى الهمس وبعض أمثلة القلب، وبعض الأمثلة الشاذة(٤٥).

والحق أن ابن جني – في أغلب حديثه في الخصائص- لا يفرق بين الصوت والحرف، فالكلمتان تؤديان المعنى نفسه لديه، ومع ذلك فإنه (ابن جني) (٤٦). " أول من جعل الأصوات علمًا، وأطلق عليها هذا اللفظ الواضح الصريح قبل الغربيين بقرون، ودل به على دراسة الأصوات والبحث في مشكلاتها المختلفة على نحو مشابه للدرس الصوتي الحديث (٤٧). ويدل على ذلك قوله: "هذا القبيل من هذا العلم. – أعني علم الأصوات والحروف- له تعلق ومشاركة للموسيقا لما فيه من صنعة الأصوات والنغم)، فقد أدرك إذن إن علم الأصوات علم قائم بذاته، وإن كانت كلمة علم لا تعني يومذاك ما نعنيه اليوم من أسس وقواعد منهجية دقيقة. وكلام ابن جني واضح الدلالة على أن الأصوات أخذ ينظر إليها في القرن الرابع الهجري على أنها يمكن أن تدرس درسًا مستقلاً، كما كانت تدرس علوم اللغة، بالاصطلاح القديم، من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، ويرى الدكتور كمال بشر أن مصطلح علم الأصوات عند ابن جني على الصورة التي رسمها لهذا العلم جاء سابقًا للمصطلح الأوروبي المقابل له وهو الفونيتيك Phonetics" (٤٨).

وللرجل عدة تشبيهات طريفة تدل على إيمانه بقصدية الصوت؛ منها أنه يشبه الحلق بالناي "وقد شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجًا، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين أنامله؛ اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة" (٤٩).

ثم نراه بعد ذلك يعول على نظرية المحاكاة في نشأة اللغة، وعندي أن المحاكاة أو القول بها فإنه لا يتم إلا عن قصد وتعمد: حيث يقول" ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل" (٥٠).

والخلاصة هنا أن لابن جني رأيين في نشأة اللغة هما: نظرية المحاكاة ونظرية الموافقة أو الوضع. وكلاهما تؤكد إيمان الرجل بالقصد كما مر بنا. وكلاهما تؤيد وجهة نظره.

حقا إن ابن جني يهتم بدلالة الحرف ويرى أن المتكلم قصد له وتعمده وذلك حتى يؤدي الدلالة المرجوة والغاية المقصودة، وذلك من خلال حديثه عن اختلاف الحرف حال وصله(تحريكه) بخلاف الوقف عليه، ويسوق مثالا يتضح فيه القصد والتعمد في الصوت، وذلك عندما يحكي" أن رجلا من العرب بايع أن يشرب عُلبة لبن ولا يتنحنح؛ فلما شرب بعضه كده الأمر، فقال كبش أملحْ، فقيل له ما هذا؟ تنحنحتَ. فقال: من تنحْنحْ فلا أفلحْ. فنطق بالحاءات كلها سواكن غير متحركة ليكون ما يتبعها من ذلك الصويت عونا له على ما كدّه وتكاءده، وهناك حكايات كثيرة أخر" (٥١).

وفي باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، يركز ابن جني على تقارب المعاني نتيجة لتقارب جرس الأصوات، ويفرّق في المعاني نتيجة لاختلاف الجرس.

كما وضَّح ابن جني في مواطن كثيرة أثر الوحدات الصوتية على المعاني حين يقول إن" العرب قد كررت العين في المثال؛ وذلك دليل على تكرار الفعل؛ فقالوا: كسّر، وقطّع، تقطيعا وتكسيرا.. (٥٢)." وبعد أن يعدد الأمثلة يقول" فهذا طريق المثل واحتياطاتهم فيها بالصنعة، ودلالاتهم منها على الإرادة والبغية"(٥٣). فالأمر مرهون هنا كما يصرح ابن جني بإرادة المتكلم وبغيته.

ويرى ابن جني أن العرب تشاكل بين أصوات الحروف ومسميات الأحداث إمعانا في القصد وإيضاحا للمعنى والغرض. فيقول" وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها. وذلك أكثر مما نقدرها، وأضعاف ما نستشعره.

من ذلك قولهم: خَضِم وقضِمَ؛ فالخضم لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثاء...والقضم للصلب اليابس.." (٥٤).

وضاعف من عناية ابن جني بالصوت وما يعتريه من قصدية المتكلم للإبانة عن غرضه؛ أن قام بوضع معانٍ للأصواتِ المجرّدة، وذكر بعض الأمثلة لتكوين المعاني في الكلمات؛ مما يدل دلالة قاطعة على قصدية المتكلم لنطق الأصوات بحيث توجه الدلالة وتفصح عن الغرض. مثل: شدّ الحبل ونحوه، وجر الشيء (٥٥).

ويعقد ابن جني بابا يسميه باب مطل الحروف يحاول من خلاله أن يبين أن مطل الحروف من عدمه إنما يعود إلى الهدف الذي ينشده المتكلم من كلامه، فبعد أن يقول إن:" الحروف الممطولة

هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة. وهي الألف والياء والواو.[٥٦].يقول: "اعلم أن هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت بعد أن تكون سواكن يتبعن بعضهن غير مدغمات ففيها امتداد ولين نحو قام وسير به وحوتٍ وكوز وكتاب وسعيد وعجوز".[٥٧].

ويرى ابن جني المواضع التي تطول فيها الحروف وتمد ثلاثة مواضع، وهي:" أن تقع بعدها- وهي سواكن توابع لما هو منهن وهو الحركات من جنسهن- الهمزة أو الحرف المشدد، أو أن يوقف عليها عند التذكر. فالهمزة نحو كساء ورداء وخطيئة.. ومقروءة... وإنما تمكن المد فيهن مع الهمز أن الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه؛ فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طُلن وشعن في الصوت فوفين له وزدن في بيانه ومكانه وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المشدد ألا تراك إذا قلت: كتاب وحساب وسعيد وعمود وضروب وركوب لم تجدهن لدنات، ولا ناعمات ولا وافيات مستطيلات كما تجدهن كذلك إذا تلاهن. وأما سبب نعمتهن ووفائهن وتماديهن إذا وقع المشدد بعدهن فلأنهن- كما ترى- سواكن، وأول المثلين مع التشديد ساكن فيجفو عليهم أن يتلقى الساكنان حشوا في كلامهم؛ فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها؛ فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضًا مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها إذا لم يجدوا عليه تطرقا، ولا بالاستراحة إليه تعلقا.."[٥٨].

"نعم وربما لم يكتف من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته بما تجشمه من مد الألف في هذا الموضع دون أن يطغى به طبعه ويتخطى به اعتماده ووطؤه إلى أن يبدل من هذه الألف همزة فيحملها الحركة التي كان كلفا بها ومصانعًا بطول المدة عنها فيقول: شأبة ودأبة.." [٥٩].

ويعدد مواضع المطل، ويضرب الأمثلة المختلفة فيقول:" وكذلك تمطل الواو إذا تذكرت في نحو ضربوا إذا كنت تتذكر المفعول أو الظرف أو نحو ذلك: أي ضربوا زيدا أو ضربوا يوم الجمعة أو ضربوا قياما فتتذكر الحال. وكذلك الياء في نحو اضربي أي اضربي زيدا ونحوه. وإنما مطلت ومدت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر من قبل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا ممكنة المدة. فقلت: ضربا وضربوا واضربي وما كانت هذه حاله وأنت مع ذلك متذكر لم توجد في لفظك دليلا على أنك متذكر شيئًا ولأوهمت كل الإيهام أنك قد أتممت كلامك ولم يبق من بعده مطلوب متوقع لك لكنك لما وقفت ومطلت الحرف علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تالٍ للأول منوطٍ به معقود ما قبله على تضمنه وخلطه بجملته. ووجه الدلالة من ذلك أن حروف اللين هذه الثلاثة إذا وقف

عليهن ضعفن وتضاءلن ولم يف مدهن وإذا وقع بين الحرفين تمكن واعترض الصدى معهن.. فاعرف ذلك. فهذه حال الأحرف الممطولة [٦٠]..

وهذه كلها شواهد تؤكد قيمة الصوت أو الحرف وإمكاناته للإبانة عن غرض المبدع وقصده. وما ورد عند ابن جني يعتبر نصوصا جملية (أي في حدود الجملة الواحدة)؛ وربما كان السبب في ذلك غلبة النزعة التعليمية على مؤلفات ذلك العصر.

***** قصدية اللفظ:**

إن اختيار الألفاظ يمثل مرحلة مهمة فى قصدية الأدوات حيث يصر الشاعر على اختيار ألفاظ بذاتها، ومن هنا كان لكل أديب معجمه وقاموسه الخاص الذي يشتهر به[٦١]. "فاللفظة المفردة مجردة من المعاني وتكون بمثابة كم متراكم من الأصوات لا فائدة منه [٦٢]" وإنما تكتسب اللفظة معناها من السياق ومن التركيب.

والحقيقة أن قصدية اختيار المفردات قد شغلت حيزًا من تراثنا النحوى والبلاغى. حيث" تَوَفَّر نقادنا القدامى على دراسةِ اللَّفْظَةِ بحسبانها الإطارَ الدّلالىَّ المفرَدَ الذي يتكوَّنُ منه الإطارُ الدَّلالى المركَّب" [٦٣].

ويرى أبو الفتح أن اللفظ إنما يكتسب معناه الحقيقي من السياق والاستعمال، وأن المعاني القوية تحتاج إلى ألفاظ قوية، وأول مرحلة هي انتقاء الألفاظ لتلائم المعاني، وتلي هذه المرحلة مرحلة أخرى وهي التأليف التي تكون محكومة بفكرة المناسبة المعجمية تارة وهو ما يؤدي إلى التوقيع أحيانًا [٦٤]، وبفكرة كسر قانون الاختيار أو قاعدة التلقي تارة أخرى [٦٥].

وبهذا لا يكون التخير وقفًا على المفردات فحسب [٦٦]. بل لا بد أن يراعي المناسبة المعجمية، والتوافق "أي أن " يذكر المعنى مع أخيه، لا مع الأجنبيّ، ومثاله أن تذكر وصفًا مِنَ الأوصافِ وتقرِنُه بما يقرب منه ويلتئم به، فإن ذكرته مع ما يبعدُ منه كان ذلكَ قد جافى الصناعة"[٦٧]. فإن وفق الشاعر فى هذا التخير أو الاختيار خرج شعره جيدًا ورائعًا، وإن خانه النظم خرج شعره رديئًا ولم يلق قبولاً [٦٨].

وهذا هو ما عبر عنه ابن جني وبوبه تحت تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني [٦٩]. وقد أخذ ابن الأثير كلام ابن جني ولم يشر إليه أية إشارة، كما فعل عبد القاهر من قبل، وعلى كل فإنه بالإمكان أن نقول: إن ابن جني قد حاول التوفيق بين اللفظ والمعنى، ورأى أن المعنى الجيد يحتاج إلى تخير ألفاظ جيدة وقوية.

"وتراثنا حافل بالداسات التي تناولت" النص الأدبي من حيث الصحة اللغوية، وحاولت أن تستمد منه كثيرا من الشواهد التي تفيد في مجال الدرس النحوي، وأن تتخذه دليلا على صحة رأي معين أو قاعدة خاصة. وهناك –كذلك– دراسات أخرى تجاوزت مسألة الصواب والخطأ، واتصلت بالعملية الإبداعية بدأ بالمفرد ووصولا إلى الجملة، مع ربطهما بالطاقة التعبيرية في اللغة من ناحية، والطاقة العاطفية في المبدع من ناحية أخرى، انطلاقا من الحقيقة الفنية للصياغة، وهي كونها تعبر وتؤثر في آن واحد"(٧٠).

على أن ابن جني يهتم كثيرا باللفظ وينتصر له ويعتقد بأهميته ويحث على العناية والتدقيق في اختيار الألفاظ لأداء معان معينة ويتضح ذلك من أبواب الخصائص مثل قوة اللفظ لقوة المعنى، وباب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وباب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، ويربط ابن جني بين قوة الشاعر، وقدرته على التصرف في اللفظ والتحكم فيه، ومخالفة المتوقع في توجيهه وتجاوز المسلمات المقررة في صرفه ودلالته.

وهو أو من لفت النظر إلى أبيات ذي الرمة التي تجاهلها النقاد، بل عابها البعض،تلك الأبيات التي مطلعها:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسحُ (٧١).

ويرى أن قيمتها إنما تعود إلى حسن تخير ألفاظها .....

ويشير ابن جني إلى أنّ الخليل وسيبويه وغيرهما أدركوا الصلة بين اللفظ ومدلوله؛ ولكن ابن جني بلْور مفهومها ووضَّحها في أربعة أبواب من كتابه "الخصائص"، هي: تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، والاشتقاق الأكبر، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني (٧٢).

وفي باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، يعلل ابن جني للصيغ المختلفة التي تنتمي إلى موضع واحد(٧٣).

وأما في باب الاشتقاق الأكبر فيشير إلى: أن أصوات المادة الواحدة مهما كان ترتيبها فهي ترتد إلى معنى واحد، كتراكيب (ق س و)، و(ق و س)، و(و ق س)، و(و س ق)، و(س و ق) التي تدور حول القوة والاجتماع، مؤكِّدًا أنّ العلاقة بين الألفاظ ومعانيها لا تطَّرد في كلِّ الألفاظ، وتحتاج إلى تلمُّس ذكي(٧٤).

وفي باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، يوضّح: أن تقارب الأصوات والألفاظ ناتج عن تقارب المعاني؛ حيث يقول". فـ"الهزّ" و"الأزّ" مثلاً: متقاربان في المعنى، وهما أيضا متقاربان في اللفظ. فكلُّ كلمة اشتركت مع أخرى بحرفين، وتقارب مخرج الحرف الثالث فيهما: أدّى ذلك التشابه الصوتي إلى تشابه المعنى؛ نحو: "السحيل" من: (س ح ل) لصوت الحمار الوحشي، و "الصهيل" من: (ص هـ ل) لصوت الفرس، و"الصاد" أخت "السين"، و"الهاء" أخت "الحاء" (٧٥).

ويرجع ابن جني خفاء الصلة في أحايين كثيرة إلى أحد أمرين أولهما: أن الدارس لم يُنْعِم النظر في الدراسة، وثانيهما: أن أصول وأوائل هذه اللغة(يعني اللغة العربية) قد تخفى على الدارس.

إذن هناك غرض للمتكلم قد يخفى علينا لسبب من هذين السببين، لكن يقينا أن هناك قصدا سعى إليه المتكلم أو واضع اللغة، وعلينا أن نجتهد حتى نصل إليه.

وبتأمل عناوين أبواب الخائص وجدناه يلمح لفكرة القصد ويلح عليها، ويحللها بطرق شى ليصل إلى قصده هو، ومراده من إثبات فكرة القصد الكامن وراء كل ظواهر اللغة، ويعالج بعض هذه الأمور في باب في توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين" وذلك في الكلام على ضربين: أحدهما –وهو الأكثر – أن يتفق اللفظ البتة ويختلف في تأويله. وعليه عامة الخلاف نحو قولهم: هذا أمر لا ينادى وليده فاللفظ غير مختلف فيه لكن يختلف في تفسيره. فقال قوم: إن الإنسان يذهل عن ولده لشدته فيكون هذا كقول الله تعالى: يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ}(٧٦). وقوله سبحانه: **{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ}**(٧٧). والآي في هذا المعنى كثيرة. وقال قوم: أي هو أمر عظيم فإنما ينادى فيه الرجال والجلة لا الإماء والصبية. وقال آخرون: الصبيان إذا ورد الحي كاهن أو حواء أو رقاء حشدوا عليه واجتمعوا له. أي ليس هذا اليوم بيوم أنس ولهو إنما هو يوم تجرد وجد. وقال آخرون – وهم أصحاب المعاني –: أي لا وليد فيه فينادي " وإنما فيه الكفاة والنهضة(٧٨)."

ويقول في باب في قوة اللفظ لقوة المعنى" هذا فصل من العربية حسن. منه قولهم: خشن واخشوشن. فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو. ومنه قول عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا وتمعددوا: أي اصلبوا وتناهوا في الخشنة. وكذلك قولهم: أعشب المكان فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا: اعشوشب... عليه – عندي– قول الله– عز وجل –: **{ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}**(٧٩) وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر" (٨٠).

ويؤكد ابن جني على أن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى ، وأن الزيادة لم ترد اعتباطا ولا عشوائية بل عن قصد وتعمد" فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به. وكذلك إن انحرف به عن سمته وهديته كان ذلك دليلاً على حادث متجدد له. وأكثر ذلك أن يكون ما حدث له زائدًا فيه لا منتقصًا منه ألا ترى أن كل واحد من مثالي التحقير والتكسير عارضان للواحد إلا أن أقوى التغييرين هو ما عرض لمثال التكسير. وذلك أنه أمر عرض للإخراج عن الواحد والزيادة في العدة فكان أقوى من التحقير لأنه مبقٍّ للواحد على إفراده. ولذلك لم يعتد التحقير سببًا مانعًا من الصرف كما اعتد التكسير مانعًا منه ألا تراك تصرف دريهما ودنينيرا ولا تصرف دراهم ولا دنانير(٨١).

ويرى أن غرض الاستفهام قد يخرج عن الاستفهام إلى التعجب عن طريق القصد والغاية وذلك في "نقض الأوضاع إذا ضامها طارىء عليها من ذلك لفظ الاستفهام إذ ضامه معنى التعجب استحال خبرًا. وذلك قولك: مررت برجل أي رجل. فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهمًا. وكذلك مررت برجل إيما رجل لأن ما زائدة. وإنما كان كذلك لأن أصل الاستفهام الخبر والتعجب ضرب من الخبر. فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله: من الخبرية. ومن ذلك لفظ الواجب إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيًا وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجابًا. وذلك كقول الله سبحانه: **{أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ}**(٨٢) أي ما قلت لهم وقوله: **{آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ}**(٨٣) أي لم يأذن لكم. وأما دخولها على النفي فكقوله – عز وجل –: **{أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ}**(٨٤) أي أنا كذلك.. وإنما كان الإنكار كذلك لأن منكر الشيء إنما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضده. فلذلك استحال به الإيجاب نفيًا والنفي إيجابًا.. فتأمل هذه الطريق حتى إذا ورد شيء منها عرفت مذهبه"(٨٥).

ويعدد المواطن والمواضع التي يكون التصرف في اللفظ فيها مرادا ومقصودا لغاية يريدها المتكلم.

**** قصد التراكيب:***

لا شك أن التركيب هو الذي يكسب الكلام قيمته، وتكون قيمة الأديب وقدرته على قدر امتلاكه ناصية الأساليب وتفرده في التراكيب السهلة الممتنعة. وهو أهم وسيلة من وسائل القصد؛ إذ بالتركيب يكون للجمل وجود ومعنى واضح وجلي.

وقصدية التراكيب تعني أن يقصد الشاعر إلى اختيار نمط بعينه من أنماط التراكيب المتاحة أمامه؛ فمثلا أنماط الجملة الاسمية التي لا تحصى، وكذلك أنماط الجملة الفعلية، وأساليب القصر والنداء والتعجب والاستثناء والترخيم، وكذلك صرف الممنوع ومنع المصروف، وغير ذلك وكلها أساليب متاحة أمام الشاعر ولكنه يتخير منها أسلوبا أو أكثر بما يتناسب مع غايته ومراده.

وقصدية التراكيب تشغل حيزا كبيرا من فكر ابن جني اللغوي، وإنتاجه وبخاصة كتاب الخصائص؛ حيث يرى أن كل شيء من حذف وإضافة وتقديم وتأخير وإعراب واحتياط وذكر، وكل ما يدخل في باب التركيب، يرى أنه مقصود ومتعمد، لغاية يراها المتكلم أو الكاتب، وأن العرب إنما تفعل هذا –كما مر سابقا– لقصد تريده ومرام تتغياه.

وابن جني هنا يتابع سيبويه في" أن لغة الشعر لها نظامها الخاص وأن الشعر يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره من الكلام وذلك حين يقول: "اعلم أنه يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام من صرف ما لا ينصرف يشبهونه بما ينصرف من الأسماء، لأنها أسماء كما أنها أسماء، وحذف ما لا يحذف يشبهونه بما قد حذف واستعمل محذوفا"[٨٦]. وهذا ما اصطلح القدماء والمحدثون على تسميته بالضرورة الشعرية [*].

ومن ثم يعتمد ابن جني ما اعتمده سيبويه من قبل، وهو قصد الشاعر جواز تقديم المفعول، وكذلك تقديم الظرف وهو يكل ذلك إلى غرض المتكلم.

ويرى أنهم" إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[٨٧]. ولا شك أن "التقاليد البلاغيّة لَعِبَتْ دورًا مؤثِّرًا فى بناء العبارة فنِّيًّا، متعاونة – فى ذلك – مع مباحث النحوَّ واللغَةِ"[٨٨].

وعودة إلى الوسائل والأدوات التي تدخل في حيز التركيب –كما ذكرنا– نجد ابن جني يوليها اهتماما كبيرا، ويشمل قصد التركيب عند ابن جني كثيرا من أبواب الخصائص مثل: الحذف والذكر والتقديم والتأخير، والتطوع بما لا يلزم والنفي والتكرار وإيثار الجملة الاسمية أو الفعلية والالتفات. والاحتياط، وغير ذلك من الأبواب.

يقول في باب الاحتياط" اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنت واحتاطت له. فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين:

الأول تكرير الأول بلفظه كقولك: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، والله أكبر الله أكبر أخاك أخاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح [٨٩].

والثاني تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين:

أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتثبيت والتمكين- الأول مثل قولك قام القوم كلهم ورأيتهم أجمعين [٩٠].

والثاني نحو قام زيد نفسه ورأيته نفسه (الكلام عن التوكيد المعنوي)

ومن ذلك الاحتياط في التأنيث كقولهم: فرسة عجوزة [٩١].

وله في باب فك الصيغ كلام جميل قريب من هذا [٩٢]. وفي هذا الباب يبرر ابن جني صنيع العرب في القلب والنقل والحذف، بما يتوافق مع مع طبيعة العرب وسليقتهم، ويتماشى مع ذوقهم وفطرتهم." اعلم أن هذا موضع من العربية لطيف ومغفول عنه وغير مأبوه له. وفيه من لطف االمأخذ وحسن الصنعة ما أذكره لتعجب منه وتأنق له. وذلك أن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفًا إما ضرورة أو إيثارًا فإنها تصور تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويرًا تقبله أمثله كلامها ولا تعافه وتمجه لخروجه عنها سواء كان ذلك الحرف المحذوف أصلاً أم زائدًا. فإن كان ما يبقى بعد ذلك الحرف مثالاً تقبله مثلهم أقروه عليه. وإن نافرها وخالف ما عليها أوضاع كلمتها نقض عن تلك الصورة وأصير إلى احتذاء رسومها[٩٣]. وكعادته في سوق الأدلة، والتأكيد على ما يقول في استخدام الأمثلة والقطع بما يؤكد كلامه، فيقول".. والذي يدل على أن العرب إذ حذفت من الكلمة حرفًا راعت حال ما بقي منه فإن كان مما تقبله أمثلتهم أقروه على صورته وإن خالف ذلك مالوا به إلى نحو صورهم قول الشماخ:[٩٤].

حذاها من الصيداء نعلاً طراقها حوامي الكراع المؤيدات العشاوز

ووجه الدلالة من ذلك أنه تكسير عَشَوزَن فحذف النون لشبهها بالزائد كما حذفت الهمزة في تحقير إسماعيل وإبراهيم لشبهها بالزائد في قولهم: بُريهيم وسُميعيل وإن كانت عندنا أصلاً. فلما حذف النون بقي معه عَشَوز وهذا مثال فَعَول وليس من صور أبنيتهم فعدله إلى عَشوَز وهذا مثال فَعول ليلحق بجدول وقَسور ثم كسره فقال: عشاوِز.. فإذا ثبت بهذه المسئلة حال هذا الحرف قياسًا وسماعًا جعلته أصلاً في جميع ما يعرض له شيء من هذا التحريف"[٩٥]. ومن ذلك جميع ما كسرته العرب على حذف زائده كقولهم في جمع كَروان: كِروان. ومنه قول الله سبحانه: **{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ}** [٩٦]. وهو عند سيبويه تكسير شدة على حذف زائدته. وذلك أنه لما حذف التاء بقي الاسم على شد ثم كسره على أشد فصار كذئب وأذؤب وقطع وأقطع [٩٧].

فهنا يرى ابن جني أن استخدم الحذف لا يتم إلا عن قصد وتعمد من المتكلم؛ حتى يستقيم له المعنى المراد.

وفي باب التطوع بما لا يلزم، يتحدث عن الشعر وما يقتضيه الوزن من تصرف، وخروج عن المألوف، وما تستدعيه القافية من أمثال ذلك، يقول" هذا أمر قد جاء في الشعر القديم والمولد جميعا مجيئا واسعا، وهو أن يلتزم الشاعر ما لا يجب عليه ليدل بذلك على غزْره وسعة ما عنده [٩٨]. وأنا أسمي هذا القصد في القافية وقد يحدث في النثر لكنه قليل[٩٩]. ودليل ذلك أن شواهد الرجل كلها شعرية، والقصد يحدث كثيرا في الضرب والعروض إمعانا في التمكين[١٠٠] كما يصرح الرجل نفسه بذلك.

ويستطرد ابن جني عن وجوب هذا اللزوم من عدمه ويراه دليلا على قوة الشاعر وتمكنه، ويستشهد بما ورد عن العجاج و رؤبة[١٠١] وكتاب المعرب في شرح قوافي أبي الحسن، ويتحدث عن لزوم ما لا يلزم ويرى أن هذا أمر قد جاء في الشعر القديم والمولد جميعًا مجيئًا واسعًا. وهو أن يلتزم الشاعر ما لا يجب عليه ليدل بذلك على غزره وسعة ما عنده. فمن ذلك ما أنشده الأصمعي لبعض الرجاز [١٠٢]:

وحُسَّدٍ أوشلت من حِظاظها
على أحاسي الغيظ واكتظاظها
حتى ترى الجَوَّاظ من فِظاظها
مُذْلَوليا بعد شَدا أفظاظها

فالتزم في جميعها ما تراه من الظاء الأولى مع كون الروي ظاء على عزة ذلك مفردًا من الظاء الأول فكيف به إذا انضم إليه ظاء قبله. وقلما رأيت في قوة الشاعر مثل هذا.

وأنشد ابن الأعرابي ليزيد بن الأعور الشني وكان أكرى بعيرًا له فحمل عليه محملان أول ما علمت المحامل. وهو قوله [١٠٣]:

لما رأيت محمليه أنا
مخدرين كدت أن أجنا

إذ التزم النون المشددة في جميعها على ما تقدم ذكره.

ولابن جني مذهب عجيب غريب في الإقواء- وأظن أن أحدا من السابقين لم يقل به غيره- حيث نجده يلتمس العذر؛ بل ينتصر للشاعر الذي وقع في الإقواء، ويدافع عنه، ويرى أنه فعل

هذا عن عمد واقتدار لا عن عجز وتراخ، ويتمثل بقول طرفة بن العبد: **وسَديفٍ حين هاج الصنبر**(١٠٤)

ويرى أن" مجيء هذا البيت في هذه القصيدة مخالفًا لجميع أبياتها يدل على قوة شاعرها وشرف صناعته وأن ما وجد من تتالي قوافيها على جر مواضعها ليس شيئًا سعى فيه، ولا أكره طبعه عليه؛ وإنما هو مذهب قاده إليه علو طبقته وجوهر فصاحته. .. وذلك أنه دل على أن هذا الشاعر إنما تساند إلى ما في طبعه ولم يتجشم إلا ما في نهضته ووسعه من غير اغتصاب له ولا استكراه أجاءه إليه إذ لو كان ذلك على خلاف ما حددناه وأنه إنما صنع الشعر صنعًا وقابله بها ترتيبًا ووضعًا لكان قمنا ألا ينقض ذلك كله بيت واحد يوهيه ويقدح فيه. وهذا واضح.

ويرى أن التطوع بما لا يلزم يحدث في النثر كما يحدث في الشعر، ومن ذلك" جوابك عمن سأل " آلحسن أو الحسين أفضل أم ابن الحنفية" فتقول الحسن أو الحسين والجواب أحدهما(١٠٥)... ويستمر الرجل في عرض آرائه واستشهاداته فيقول" من ذلك قولك في جواب من قال لك: الحسن أو الحسين أفضل أم ابن الحنفية: الحسن أو قولك: الحسين. وهذا تطوع من المجيب بما لا يلزم. وذلك أن جوابه على ظاهر سؤاله أن يقول له: أحدهما ألا ترى أنه لما قال له: الحسن أو الحسين أفضل أم ابن الحنفية فكأنه قال: أ أحدهما أفضل أم ابن الحنفية فجوابه على ظاهر سؤاله أن يقول: أحدهما. فقوله: الحسن أو قوله: الحسين فيه زيادة تطوع بها لم ينطو السؤال على استعلامها. ونظير قوله في الجواب على اللفظ أن يقول: الحسن أو الحسين لأن قوله: أو الحسين بمنزلة أن يقول: أحدهما. والجواب المتطوع فيه أن يقول: الحسن ويمسك أو أن يقول: الحسين ويمسك. فأما إن كان كيسانيًا فإنه يقول: ابن الحنفية هكذا كما ترى. فإن قال: الحسن أفضل أم الحسين أو ابن الحنفية فقال: الحسن فهو جواب لا تطوع فيه(١٠٦)...

وفي باب التطوع هذا يصول الرجل ويجول ويضرب أمثلة كثير جدا تدل على علو كعبه في العربية وإلمامه بدقائقها وتفاصيلها، وإيمانه العميق بالقصد الكامن خلف كل ما ينطق به العربي:

ومن قصد التركيب عند ابن جني الحذف، ويرى أن الحذف من شجاعة العربية؛ لذلك يعنونه بعنوان(باب في شجاعة العربية)(١٠٧). ويرى أن معظم ذلك إنما"" هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف" والحال والصفة، والفعل، وأن من سنن العرب حذف العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، ولا يحدث ذلك إلا عن دليل عليه. ويأخذ في ضرب الأمثلة؛ فحذف

الجملة مثل" قولهم في القسم: والله لا فعلت وتالله لقد فعلت. وأصله: أقسم بالله " ومن حذف الفعل " في الأمر والنهي والتحضيض نحو قولك: زيدًا إذا أردت: اضرب زيدًا أو نحوه. ومنه إياك إذا حذرته أي احفظ نفسك(١٠٨). ويرى ابن جنى أن حذف الفعل يأتي على ضربين" حذف الفعل حذف الفعل على ضربين: أحدهما أن تحذفه والفاعل فيه. فإذا وقع ذلك فهو حذف جملة. وذلك نحو زيدًا ضربته لأنك أردت: ضربت زيدًا فلما أضمرت ضربت فسرته بقولك: ضربته. وكذلك قولك: أزيدا مررت به وقولهم: المرء مقتول بما قَتَل به إن سيفًا فسيف وإن خنجرًا فخنجر أي إن كان الذي قَتَل به سيفًا فالذي يُقتل به سيف. فكان واسمها وإن لم تكن مستقلة فإنها تعتد اعتداد الجملة. وذلك أن يكون الفاعل مفصولا عنه مرفوعًا به"(١٠٩).

ومن حذف الجملة من الخبر": القرطاس والله أي أصاب القرطاس. وخير مقدم أي قدمت خير مقدم. وكذلك الشرط في نحو قوله: الناس مجزيون بأفعالهم إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا أي إن فعل المرء خيرًا جزى خيرًا وإن فعل شرًا جزي شرًا. ومنه قول التغلبي: إذا ما الماء خالطها سخينا أي فشربنا سخينًا وعليه قول الله سبحانه:**{فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}**(١١٠). أي فضرب فانفجرت وقوله عز اسمه: **{فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ}**(١١١). أي فحلق فعليه فدية".

ويستمر في ضرب الأمثلة والتدليل عليها في باب الحذف؛ فيتحدث عن حذف المضاف المكرر، والمضاف غير المكرر، وحذف الصفة إن لم تعر من الدلالة عليها، وحذف المفعول، والحرف والحال ...إلخ.

" فأما ما أجزناه من حذف الحال في قول الله تعالى: **{فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}**(١١٢). أي فمن شهده صحيحًا بالغًا فطريقه أنه لما دلت الدلالة عليه من الإجمع والسنة جاز حذفه تخفيفًا. وأما لو عريت الحال من هذه القرينة وتجرد الأمر دونها لما جاز حذف الحال على وجه. ويفرد بابا لحذف الهمز وإبداله

ويتبع كلامه عن الحذف بباب قريب من الحذف، أو يدخل في نطاقه، ويطلق عليه باب في الاكتفاء بالسبب من المسبب وبالمسبب من السبب،(١١٣) ويرى أنه " موضع من العربية شريف لطيف وواسع لمتأمله كثير. وكان أبو علي – رحمه الله – يستحسنه ويعنى به. وذكر منه مواضع قليلة. ومر بنا نحن منه مالا نكاد نحصيه. فمن ذلك قول الله تعالى **{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ}**(١١٤). وتأويله – والله أعلم –: فإذا أردت قراءة القرآن فاكتفى بالمسبب الذي هو القراءة من

السبب الذي هو الإرادة. وهذا أولى من تأول من ذهب إلى أنه أراد: فإذا استعذت فاقرأ لأن فيه قلبًا لا ضرورة بك إليه. وأيضًا فإنه ليس كل مستعيذ بالله واجبةً عليه القراءة ألا ترى إلى قوله: أعوذ بالله وبابن مصعب الفرع من قريشٍ المهذب وليس أحد أوجب عليه من طريق الشرع القراءة في هذا الموضع".

وفي نهاية الكلام عن الحذف نستطيع أن نجمل أسبابه وأغراضه في مجرد الاختصار، والاحتراز عن العبث لظهوره، والتنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، والتفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام وكونه لا يصلح إلا له نحو: "عالم الغيب والشهادة فعال لما يري، ومنها شهرته حتى يكون ذكره وعدمه، ومنها صيانته عن ذكره تشريفا كقوله تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (١١٥).

والحذف في حد ذاته لا يتناوله ابن جني، والبحث من ورائه لقيمته في ذاته، أو لاستعراض أغراضه بوصفه وسيلة من وسائل اللغة العربية، وإنما اتكأ ابن جني على الحذف وأفاض في شرحه وبيان أغراضه بوصفه وسيلة من أهم وسائل القصد عند المتكلم، يعتمد عليها لبيان أغراضه من الكلام حتى لا يحدث لبس أو خطأ في فهم المعنى المقصود.

ولهذا يرى ابن جني أن الإلمام بعلم العربية يقي من الوقوع في الضلال، ويؤدي إلى اليقين في صحيح الدين؛ وذلك في باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية"(١١٦). وقد يكون من الراجح أن هذا الباب إضافة إلى ما ذكره ابن جني في مقدمة كتابه؛ من أهم دوافع تأليف ابن جني لكتاب الخصائص؛ يقول ابن جني" اعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية ولا وراءه من نهاية. وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيها وأحنائها وأصل اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه منها وجاز عليهم بها وعنها. وذلك أنهم لما سمعوا قول الله – سبحانه وعلا عما يقول الجاهلون علوا كبيرًا – **{ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}** (١١٧). وقوله – " عز اسمه – **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ}** (١١٨). وقوله: **{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}** (١١٩). ..، وقوله: **{وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}** (١٢٠). ونحو ذلك من الآيات الجارية هذا المجرى.

وبعد أن يسوق ابن جني أدلته الكثيرة، ويفسرها بما يؤدي الغرض، فإنه يمتدح هذا الغرض، بل ويستنكر على بعض شيوخه عدم التعرض والالتفات لهذا الباب رغم سهولته ووضوحه" وإذا صح هذا الموضع ثبت به لنا أصل شريف يعرفه من يعرفه. ولولا ما تعطيه العربية صاحبها من قوة النفس ودربة الفكر لكان هذا الموضع ونحوه مجوزا عليه غير مأبوه له. وأنا أعجب من الشيخين أبوى علي رحمهما الله وقد دوخا هذا الأمر وجولاه وامتخضاه وسقياه ولم يمرر واحد منهما ولا من غيرهما – فيما علمته به – على قربه وسهولة مأخذه. ولله قطرب! فإنه قد أحرز عندي أجرا عظيما فيما صنفه من كتابه الصغير في الرد على الملحدين وعليه عقد أبو علي – رحمه الله – كتابة في تفسير القرآن. وإذا قرأته سقطت عنك الشبهة في هذا الأمر بإذن الله وعونه".

وفي باب في الامتناع من نقض الغرض(١٢١)، يقارن ابن جني بين ما فعلته العرب، وما فعلته اليهود في نسخ الشرائع، وينتصف للعرب ويرى أنه على صواب على عكس ما فعله اليهود" اعلم أن هذا المعنى الذي تحامته العرب– اعنى امتناعها من نقض أغراضها– يشبه البداء الذي تروم اليهود إلزامنا إياه في نسخ الشرائع وامتناعهم منه إلا أن الذي رامته العرب من ذلك صحيح على السبر والذي ذهبوا هم إليه فاسد غير مستقيم. وذلك أن نسخ الشرائع ليس ببداءٍ عندنا لأنه ليس نهيا عما أمر الله تعالى به وإنما هو نهى عن مثل ما أمر الله تعالى به في وقت آخر غير الوقت الذي كان – سبحانه – أمر بالأول فيه ألا ترى أنه – عز اسمه – لو قال لهم: صوموا يوم كذا ثم نهاهم عن الصوم فيه فيما بعد لكان إنما نهاهم عن مثل ذلك الصوم لا عنه نفسه. فهذا ليس بداء. لكنه لو قال: صوموا يوم الجمعة ثم قال لهم قبل مضيه: لا تصوموه لكان– لعمري– بداء وتنقلا والله– سبحانه – يجل عن هذا لأن فيه انتكاثا وتراجعا واستدراكا وتتبعا. فكذلك امتناع العرب من نقض أغارضها هو في الفساد مثل ما نزهنا القديم– سبحانه– عنه من البداء. فمن ذلك امتناعهم من ادغام الملحق نحو جلبب وشملل وشربب ورمدد ومهدد وذلك أنك إنما أردت بالزيادة والتكثير البلوغ إلى مثال معلوم فلوا ادغمت في نحو شربب فقلت: شرب لا تنقض غرضك الذي اعتزمته: من مقابلة الساكن بالساكن والمتحرك بالمتحرك فأدى ذلك إلى ضد ما اعتزمته ونقض ما رمته. فاحتمل التقاء المثلين متحركين لما ذكرنا من حراسة هذا الموضع وحفظه. ومن ذلك امتناعهم من تعريف الفعل. وذلك أنه إنما الغرض فيه إفادته فلابد من أن يكون منكورا لا يسوغ تعريفه لأنه لو كان معرفة لما كان مستفادا لأن المعروف قد غنى بتعريفه عن اجتلابه ليفاد من جملة الكلام(١٢٢).

وفي هذا الباب مع عدة أبواب أخرى، يحاول ابن جني أن ينتصر لكل ما تفعله العرب، وما تقوله، ويرى **أنه مقصود، وأنها إنما فعلت ذلك لغاية ما؛ إذ لا يعقل أن العرب تخطئ في اللغة وهم أربابها، والآخذون بزمامها، وهذا ما فعله في كثير من الأبواب مثل: باب في أغلاط العرب وباب بقاء الحكم مع زوال العلة. وباب في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف. وباب في سقطات العلماءالذي يعرض فيه بكتاب العين، ويرى صعوبة نسبة هذا العمل للخليل بن أحمد ويرى أن فيه من الأخطاء ما لا يجوز أن يحمل على أصغر اتباع الخليل فضلا عن الخليل نفسه** (١٢٣). **وذلك ان به ما يتعارض مع وجهة نظره وانتصاره للعرب في كل تكلمت به.**

وفي باب في جمع الأشباه من حيث يغمض الاشتباه، الذي يقول عنه" هذا غور من اللغة بطين يحتاج مجتابه إلى فقاهة في النفس ونصاعة من الفكر ومساءلة خاصية ليست بمبتذلة ولا ذات هجنة..."(١٢٤) وفي باب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول يقول" اعلم أن هذا الباب وإن ألانه عندك ظاهر ترجمته وغض منه في نفسك بذاذة سمته فإن فيه ومن ورائه تحصينا للمعاني وتحريرا للألفاظ وتشجيعا على مزاولة الأغراض. والكلام فيه من موضعين: أحدهما: ذكر استقامة المعنى من استحالته والآخر: الاستطالة على اللفظ بتحريفه والتعلب به ليكون ذلك مدرجة للفكر ومشجعة للنفس وارتياضا لما يرد من ذلك الطرز. وليس لك أن تقول: فما في الاشتغال بإنشاء فروع كاذبة عن أصول فاسدة! وقد كان في التشاغل بالصحيح مغنٍ عن التكلف للسقيم. هذا خطأ من القول من قبل أنه إذا أصلح الفكر وشحذ البصر وفتق النظر كان ذلك عونا لك وسيفا ماضيا في يدك ألا ترى إلى ما كان نحو هذا من الحساب وما فيه من التصرف والاعتمال" (١٢٥).

وهنا يأتي بأمثلة على غرار أمثلة الكتاب في الكلام المستقيم الحسن والمستقيم القبيح.. إلخ، ويضرب أمثلة تؤيد رأيه وتعضده، ثم يأتي بأمثلة من القرآن الكريم وهو مدار أمثلته، ومحط عنايته.

حيث يقول".. وذلك كقولك: قمت غدا وسأقوم أمس ونحو هذا. فإن قلت: فقد تقول إن قمت غدا قمت معك وتقول: لم أقم أمس وتقول: أعزك الله وأطال بقاءك فتأتى بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال وقال:

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت لا يعنيني(١٢٦)

أي: ولقد مررت.

وفي باب في فرق بين الحقيقة والمجاز [١٢٧]. وكله قصد عند ابن جني، وهو يبدؤه بتعريف كل من الحقيقة والمجاز فيقول:" الحقيقة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة. والمجاز: ما كان بضد ذلك. وإنما يقع المجاز ويُعدلُ إليه عن الحقيقةِ لمعانٍ ثلاثة وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه. فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة. فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الفرس: "هو بحر"[١٢٨]. فالمعاني الثلاثة موجودة فيه. أما الاتساع فلأنه زاد في أسماء الفرس التي هي فرس وطرف وجواد ونحوها البحر حتى إنه إن احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتساع استعمل استعمال بقية تلك الأسماء..

أما التوكيد فأنه شبه العرض بالجوهر وهو أثبت في النفوس منه والشبه في العرض منتفية عنه ألا ترى أن من الناس من دفع الأعراض وليس أحد دفع الجواهر. وكذلك قول الله سبحانه: **{وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا}**[١٢٩] هذا هو مجاز. وفيه الأوصاف الثلاثة. أما السعة فلأنه كأنه زاد في أسماء الجهات والمحال اسمًا هو الرحمة. وأما التشبيه فلأنه شبه الرحمة وإن لم يصح دخولها بما يجوز دخوله. فلذلك وضعها موضعه. وأما التوكيد فلأنه أخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر. وهذا تعال بالغرض وتفخيم منه إذ صير إلى حيز ما يشاهد ويلمس ويعاين ..إلى أن يقول: "ومن المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة: من الحذوف والزيادات والتقديم والتأخير: والحمل على المعنى والتحريف[١٣٠].

ويرى أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة، حيث يقول" اعلم أن أكثر اللغة مع تأمّله مجاز لا حقيقة.. وذلك عامة الأفعال نحو قام زيد وقعد عمرو وانطلق بشر وجاء الصيف وانهزم الشتاء. ألا ترى أن الفعل يفاد منه معنى الجنسية فقولك: قام زيد معناه: كان منه القيام أي هذا الجنس من الفعل ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام وكيف يكون ذلك وهو جنس والجنس يطبق جميع الماضي، وجميع الحاضر وجميع الآتي الكائنات من كل من وجد منه القيام. ومعلوم أنه لا يجتمع لإنسان واحد في وقت واحد ولا في مائة ألف سنة مضاعفة القيام كله الداخل تحت الوهم هذا محال عند كل ذي لب. فإذا كان كذلك علمت أن قام زيد مجاز لا حقيقة وإنما هو على وضع الكل موضع البعض للاتساع والمبالغة وتشبيه القليل بالكثير"[١٣١].

ويتحدث عن التوكيد ودوره في التفريق بين الحقيقة والمجاز؛ مستشدا بالقن الكريم والشعر العربي" من التوكيد في المجاز قوله تعالى: **{وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ}**[١٣٢] ولم تؤت لحية ولا ذكرًا. ووجه

هذا عندي أن يكون مما حذفت صفته حتى كأنه قال: وأوتيت من كل شيء تؤتاه المرأة الملكة ألا ترى أنها لو أوتيت لحية وذكرا لم تكن امرأة أصلاً ولما قيل فيها: أوتيت ولقيل أوتى(١٣٣)..

وبعد فقد حاولت هذه الصفحات أن تعرض رأي ابن جني في لغة العرب، وأن تبين وجهة نظره في ما يعتور اللغة، أو ما تفعله العرب في كلامها وأشعارها، وذلك ابتداء من تعريفه للغة ومرورا بالصوت واللفظ، والذكر والحذف، والحقيقة والمجاز والتوكيد والاحتياط، والتطوع بما لا يلزم، والتقديم والتأخير، وقد رأى البحث أن الرجل ينتصر لكل ما تفعله العرب، ويرى أن القصد كامن وراء كل ما يقولونه، وما يفعلونه في اللغة. وهو في آرئه إنما ينطلق من من موقف المؤيد لكل الظواهر اللغوية حرصا منه على الدفاع عن لغة القرآن الكريم **أولا**: ومما يقوي هذا الرأي ويؤيده، أنه يأتي دائما بالشواهد من شعر العرب ونثرها، ثم يأتي بالشاهد القرآني ليثبت أنه جاء على سنن العرب وطرائقها في الكلام، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله.

ثانيا: إن آراء ابن جني تتلاقى مع- بل هي سابقة- أحدث النظريات اللغوية الحديثة التي ترى أننا ننجز الأشياء من خلال الكلام، وأن القصد كامن وراء كل حرف ولفظ.

الهوامش:

(١) انظر: – د. سعد مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص٤٠٧ بحث منشور ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت، (دراسات مهداة إلى ذكرى الشيخ عبد السلام هارون رحمه الله). ص ٤٠٧.

– دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣ط١ ترجمة د.تمام حسان، عالم الكتب القاهرة ١٩٩٨.

– محمد خطابي: لسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب، ص ٥، المرطز الثقافي العربيط٢، بيروت ٢٠٠٦.

– فولفاج هيانمان، مدخل إلى علم لغة النص ص ٢٥، ترجمة:د. سعيد البحيري، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ٢٠٠٤.

– مدخل إلى علم اللغة النصي ص ٩٣ .

– د. سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية ص ١٥٤ مجلة فصول – الهيئة المصرية للكتاب– المجلد العاشر – العددان ١– ٢ أغسطس ١٩٩١.

(٢) من نحو الجملة إلى نحو النص. ص ٤١١.

– *مدخل إلى علم لغة النص ص ٣٠، وانظر:*
– *النص والخطاب والإجراء ص ١٠٣ .*
– علم اللغة النصي ص ٩٤

(٣) مدخل إلى علم لغة النص ص ٣٦–٣٧.

(٤)انظر: – لسان العرب مادة قصد.

(٥) ونلحظ هنا أن المعاجم قد اعتمدت على على تعريف ابن جني ورايته في تعريف القصد.. راجع: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب مادة قصد، دار المعارف مصر د.ت.: تاج العروس مادة قصد، والقاموس المحيط مادة قصد.والحق أن إلحاح ابن جني على القصد والتعويل عليه في فهم مراد المتكلم لم يقف عند كتاب الخصائص بل هو ينتشر في كل كتب ابن جني كسر صناعة الإعراب والمحتسب الذي خصصه للقراءات الشاذة، وهو يعول كثيرا في هذا الأخير على القصد من توجيه القراءة، راجع:

– أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئه المصرية العامة للكتاب، , ١٩٩٩ .

– المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٩.

(٦)محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مختار الصحاح مادة قصد، دار المعارف، مصر١٩٠٧.

(٧) مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط – مادة قص – القاهرة د.ت.

(٨) انظر: – من نحو الجملة إلى نحو النص . ص ٤١١.

– *مدخل إلى علم لغة النص ص ٣٠، وانظر:*
– علم اللغة النصي ص ٩٤ .

(٩)النص والخطاب والإجراء ص١٠٣و١٠٤.

(١٠) انظر: د. محمد حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية، ص٢١، دار الشروق مصر، ٢٠٠٢.

((١١) انظر:د. عبد الله الخولي، توجيه القراءات الشاذة، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، ص٢١.

(١٢) د. نهاد الوسي نظرية النحو العربي فى ضوء النظر اللغوي الحديث.، دار البشير للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٧م.

(١٣) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قَنْبر، الكتاب٣٢/١، ت:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٨٨.

(١٤) الأمثلة الكثيرة فى كتاب سيبويه حيث يجمع بين التفسير اللغوي والسياق، انظر على سبيل المثال تقسيمه للكلام من حيث المستقيم والمحال.. الكتاب ٢٥/١و٢٦ وانظر تعقيب الدكتور محمد حماسة على ذلك، في كتابه النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، : ص ٥٠، دار الشروق، ٢٠٠٢.

(١٥) انظر على سبيل المثال الكتاب ٥٥/١، ٦٩/١، ١٢٤/١، ١٨٨/١، ٧٩/١، ٥٠/١، ٦١/١، ٩١/١، ٨٠/٢، ٨١.

(*) أفاض البلاغيون في هذه المسألة وعالجوها بحكمة انظر على سبيل المثال:

–د.محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى ص١٤٥، الشركة العالمية للطباعة والنشر – لونجمان– مصر١٩٩٧.

– د.حسن طبل، المعنى الشعري ص ١٤٥، دار الشباب، مصر د.ت.

(١٦) انظر القصة الشهيرة التي تروى عن مجلس هارون الرشيد في قصة العير والمهر، " راجع القصة كاملة في:

– شرح التسهيل١/٥، لمحمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد ,محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٠.

– شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ١٢٥/١، تحقيق محمد محيي الدينعبد ا لحميد، د ا ر الفكر، بيروت.

– د. أحمد كشك، اللغة والكلام ص ١٥، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ وتعقيب أستاذنا على القصة.

(١٧) انظر شرح الأشموني على ألفية بن مالك تحقيق حمد حس، و إميل يعقوب، د ار الكتب العلمية، ١٩٩٨++، ٥٧/١، و ٣٢٧/٣ و ٣٤٤/١ وشرح بن عقيل ٥/٢ وابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ١٩٦/١، تحقيق !محمد محيي الدين عبد الحميد، طب دار المكتبة العصرية، بيروت د.ت.

– شرح التسهيل ٢٤٥/٢، و ٢٧٣/٣، ٩٣/٣، والكواكب الدرية ١٣٤/٢ لا، حسن بن الحاج عمر بن عبد الله السيناوني، دار ابن حزم، ٢٠٠٤.

– عدة السالك ٢٢٠/٣، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد ملحق شرح ألفية ابن مالك.

– علي بن محمد الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢١/٣، المكتبة التوفيقية للطبع والنشر والتوزيع.د.ت.

(١٨) انظر : جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ١٠/١، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع, ١٩٩٨.

(١٩) انظر: – مسعود صحراوي، التدولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص ٢٠٠ وما بعدها، دار الطليعة، ط١، بيروت٢٠٠٥.

– محد خطابي، لسانيات النص، ص ٢٨.

– محمد العبد، التحليل التداولى للخطاب، ص ٣٧، مجلة فصول العد ٢٠، مصر ٢٠٠١.

(٢٠) د. درويش الجندي، نظرية عبد القاهر فى النظم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤٧.

(٢١) للمزيد انظر: – المعنى في البلاغة العربية ص ٤٨. – النص والخطاب والإجراء، ص ٥. ودلائل الإعجاز ص ٣١١.

(٢٢) د. سعيد بحيري دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص ٢١٩، ٢٢٠، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ت.

(٢٣) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص٢١٨.

(٢٤) إن أثر ابن جني واضح وجلي في كتابات عبد القاهر، كما أنه من غير المعقول ألا يطلع عبد القاهر على نتاج رجل بحجم ابن جني.

(٢٥) الخصائص ص ١/٢ من المقدمة.

(٢٦) الخصائص ص ١/٢ من المقدمة.

(٢٧) الخصائص١/١٠.

(٢٨) الكتاب١/٢٣، والخصائص١/٢٤٨.

(٢٩) الخصائص١/٧٢و٧٣.

(٣٠) السابق، ١/٢٤٨.

(٣١) السابق١/٢٣٧و٢٥١.

(٣٢) السابق١/٢٣٠.

(٣٣) السابق، ص١/٢١٢ و٢١٥، وقد تكررت هذه العبارة كثيرا في أبواب الخصائص سواء بالنص أو بالمعنى، انظر على سبيل المثال الخصائص:

١/٤٨ و١/٤٩، و١/١٠٩ و١/٢٤٥ و١/١٨٩، و٢١٥٠، و٢/١٤١، و٣/١٨، و٣/٦٦، و٣/١٤٢.

(٣٤) السابق١/٢٣٧. وانظر أيضا ١/٢٣٩.

(٣٥) راجع مثلا ما روي عن أبي تمام والبحتري في ديوان الحماسة حينما طالب أبو تمام البحتري من أن يتخير أوقاتا معين لقول الشعرقائلا له إذا أردت الشعر فتخير الأوقات...وكذلك قول المتنبي

إذا كان مدحا فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعرا متيم

انظر: ديوان المتنبي ٢/٢٣٠، بشرح أبي البقاء العكبري، ت، مصطفى السقا، دار المعارف، مصر، د.ت.

وقول صلاح عبد الصبور :

الحُبْ يَا رَفِيْقَتِي، قَدْ كَانْ
فِي أَوَّلِ الزَّمَانْ
يَخْضَعُ للتَرْتِيْبِ وَالحُسْبَانْ
" نَظْرَةٌ، فَابْتِسَامَةٌ، فَسَلاَمٌ
فَكَلاَمٌ، فَمَوْعِدٌ، فَلِقَاءُ "
اليَوْمَ.. يَا عَجَائبَ الزَّمَانْ !
قَدْ يَلْتَقِي فِي الحُبِّ عَاشِقَانْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْتَسِمَا

– من ديوان تأملات في الزمن الجريح ص، ٥٤، الأعمال الكاملة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.

(٣٦) الخصائص، ١/٥٨.

(٣٧) الآية ٤٠ سورة يس.

(٣٨) ا أوزن أي أثقل، لخصائص، ١/٢٤٩.

(٣٩) الخصائص، ١/٢٤٨.

(٤٠) الخصائص، ١/٢٥٠.

(٤١) الخصائص، ١/٢٥١.

(٤٢) انظر على سبيل المثال:

– مبارك عبد الرحمن النظرية النَّقديّة: من الصُّوت إلى النَّص)، الصَّادر عن النادي الأدبي في جدة /٢٠٠١٣م،

– الصوت اللغوي في القرآن المؤلف : د. محمد حسين علي الصغير الناشر : دار المؤرّخ.

– في الأصوات للغوية – دراسة في اصوات المد العربية.

– مبارك حنون:الصواتة البصرية من اللسانيات المنطوقة إلى اللسانيات المكتوبة ص، ٢١، دار الكتاب الجديد المتحدة ط١، المغرب ٢٠١٣.

(٤٣) عبد الفتاح المصري، الصّوتيات عند ابن جني في ضَوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة مجلة التراث العربي، ص٢٣١، اتحاد الكتاب العرب–دمشق العددان :١٥ و ١٦ – السنة الرابعة – رجب وشوال ١٤٠٤ – نيسان "أبريل" و تموز "يوليو "١٩٨٤.

(٤٤) الكتاب ص ٤/٤٣٦.

(٤٥) د.تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص، ١٥عالم الكتب، مصر ٢٠١٠، وانظر: الصّوتيات عند ابن جني، ص٢٣٤و٢٣٥.

(٤٦) للمزيد حول قضية الصوت والحرف انظر:

– راجع: اللغة معناها ومبناها، ص ١٥.

–ابن جني، سر صناعة الإعراب ص ٦و١٣، ت د. حسن هنداوي، دار القلم – دمشق ط١ ١٩٨٥.

– د. عبد الله محمود: في تعليم الصوتيات العربية، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية للناطقين بغيرهاج١، ص٣٦.

– الصّوتيات عند ابن جني في ضَوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة ص ٩.

(٤٧) د.محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص٣٧، ٣٨، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة.

(٤٨) انظر:– الصوتيات عند ابن جني، ص ٢٤٠.

–جهود العرب في الدراسات الصوتية، مجلة الثقافة العربية ص٥١.

(٤٩) سر صناعة الإعراب، ص١٠/١.

(٥٠) الخصائص ج١، ص٤٦، ٤٧.

وهذا الكلام يذكرنا بنظرية المحاكاة،(**Onomatopoeia**) في نشأة اللغة، ويرى أصحاب هذه النظرية: أن اللغة محاكاة لأصوات الطبيعة، وهذا الكلام لم سيبق إليه ابن جني، وهو باكورة الكلام عن نظرية المحاكاة في تراثنا اللغوي، وقد جعل ابن جني المحاكاة على أربع مراتب هي: المحاكاة الصوتية أي تسمية الأشياء بأصواتها، ومحاكاة هيكل اللفظ لجملة الدلالة ثم المحاكاة التعاملية؛ أي تعامل دلالة الأصوات الفيزيائية ودلالة الهيكل الوزني، وأخيرًا التركيب السياقي. وللمزيد انظر:

– عبد الفتاح المصري: التفكير اللساني في الحضارة العربية، مجلة الموقف الأدبي، جدة، عدد ١٢٥، ١٢٦، ص

٢٣٥، ٢٣٩.

- التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٢٣٨.

(٥١) الخصائص، ١/٩٥، ١/٦٤و٦٥و٦٦و٦٧و٩٨ وغيرها.

(٥٢) الخصائص، ١/ ١٥٦.

(٥٣) الخصائص، ١/١٥٧.

(٥٤) الخصائص، ١/١٥٧.

(٥٥) الخصائص ٣/١٢١و١٢٤.

(٥٦) الخصائص ٣/ ١٣٣:١٢٤..

(٥٧) السابق نفسه.

(٥٨) الخصائص ٣/١٢٤ وما بعدها

(٥٩) السابق نفسه٤.

(٦٠) السابق نفسه.

(٦١) انظر على سبيل المثال الدراسات التي تناولت المعجم الشعري لبعض الكتاب مثل:

-أبو اليزيد الشرقاوي:المعجم الشعري عند جماعة أبوللو، رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٩٥م.

- أحمد محمد الدماطي: جميلة العلايلي حياتها وشعرها، دراسة فنية، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية دار العلوم ٢٠٠٨م.

(٦٢) دار جدل كبير بين القدماء في قضية اللفظ والمعنى، وانقسموا فريقين منهم من تعصب للفظ ومنهم من تعصب للمعنى، حيث استطاع عبد القاهر أن يحل إشكالية اللفظ والمعنى بصورة رائعة انظر الدلائل ص٤٠، ٣٠٣ فاللفظة المفردة مجردة من المعاني وتكون بمثابة كم متراكم من الأصوات لا فائدة منه، انظر المعنى الشعري ص٣٥، البلاغة العربية ص ٣١) .

(٦٣) البلاغة العربية قراءة أخرى.ص ٥٤.

والحق أن هذه القضية قضية شائكة ضاربة بجذورها في تراثنا اللغوي والبلاغي والنقدي فيما عرف بقضية اللفظ والمعنى، للمزيد انظر: انظر:المعنى الشعري، ص ٤٣.

– عبد الواحد علام، قضايا ومواقف فى التراث البلاغى، ص ١١. مصر د.ت.

(٦٤) انظر النحو والدلالة ص ٢٦، ود. تمام حسان: البيان في روائع القرآن ١ ص ١٤و٦٢ مكتبة الأسرة – ٢٠٠١ .

(٦٥) يحدث هذا غالبًا فى القافية انظر/لغة الشعر:دراسة في الضرورة الشعرية ١٤١.

وقد أصبح من أساسيات الشعرية المعاصرة كسر قانون الاختيار بحيث يقيم الشاعر علاقات جديدة بين كلمات من حقول دلالية مختلفة.ومن أشهر من فعلوا ذلك إسماعيل صبري ومحمود حسن إسماعيل ومحمود درويش وأمل دنقل.

(٦٦) البلاغة العربية قراءة أخرى، ص ١١٦.

(٦٧) البلاغة العربية قراءة أخرى ص ١١٨ وانظر: ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت، أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ٣دار نهضة مصر.

(٦٨) انظر مثلاً شروط الفصاحة التى حددها القدماء، د.حسن طبل، البلاغة والنقد.ص ١٧مكتبة الشباب، د.ت.

(٦٩) الخصائص.

(٧٠) محمد عبد المطلب، جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ص ٨٢، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ط١، القاهرة، ١٩٩٥..

(٧١) الخصائص ٢١٨/١.

(٧٢) الخصائص ١١٣/٢ –١٦٨.

(٧٣) الخصائص ١١٣/٢ –١٣٣.

(٧٤) الخصائص ١٣٣/٢– ١٣٩.

(٧٥) الخصائص ١٤٥/٢– ١٥٢.

(٧٦) سورة الحج جزء الآية ٢.

(٧٧) سورة عبس الآيتان ٣٤ و٣٥.

(٧٨) الخصائص ١، ٨٧.

(٧٩) سورة القرة جزء الآية ٢٨٦.

(٨٠) السابق نفس الصفحة.

(٨١) الخصائص ٢/٢٤٣.

(٨٢) سورة المائدة جزء الآية ١١٦.

(٨٣) سورة يونس جزء الآية ٥٩.

(٨٤) سورة الأعراف جزء الآية ١٧٢.

(٨٥) الخصائص٢/٢٤٣.

(٨٦) الكتاب ٩/٢٦. للمزيد انظر: لغة بناء الشعر د/حماسة حيث قام بدراسة الضرورة قديمًا وحديثًا،) د. محمد حماسة عبد اللطيف: لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية –دار الشروق – القاهرة – ط١ – ١٩٩٦.

(٨٧) الكتاب ١/٢٣٤.

(٨٨) البلاغة العربية قراءة أخرى ص ١١٥و١١٩و١٢٠..

(٨٩) الخصائص٣/١٠١ و١٠٢.

(٩٠) الخصائص٣/١٠٤

(٩١) السابق نفسه.

(٩٢) الخصائص٣/١١١ وما بعدها.

(٩٣) الخصائص٣/١١٣.

(٩٤) الخصائص ٣/١١٦ .

(٩٥) الخصائص.٣/١١٥.

(٩٦) سورة الأحقاف جزء الآية ١٥.

(٩٧) الخصائص٣/١١٥.

(٩٨) الخصائص٢٣٤/٢.

(٩٩) الخصائص ٢/٢٣٥.

(١٠٠) الخصائص ٢/٢٥٠.

(١٠١) الخصائص٢/٢٥٩.

(١٠٢) الخصائص٢/٢٣٤

(١٠٣) الخصائص٢/٢٦١

(١٠٤) الخصائص٢/٢٥٤.

(١٠٥) الخصائص٢/٢٦٦ و٢/٢٦٧

(١٠٦) السابق نفسه.

(١٠٧) الخصائص٢/٣٦٠.

(١٠٨) السابق نفسه.

(١٠٩) السابق نفسه.

(١١٠) سورة القرة جزء الآية ٦٠.

(١١١) سورة البقرة جزء الآية ١٨٤.

(١١٢) سورة البقرة جزء الآية ١٨٥.

(١١٣) الخصائص٢/٣٦٨.

(١١٤) سورة النحل جزء الآية ٩٨.

(١١٥) سورة الشعراء الآية ٢٣، وجزء الآية ٢٤.

(١١٦) الخصائص٣/٢٤٣.

(١١٧) سورة الزمر جزء الآية ٥٦.

(١١٨) سورة القرة جزء الآية ١١٥.

(١١٩) سورة ص، جزء الآية ٧٥.

(١٢٠) سورة الزمر جزء الآية ٦٧.

(١٢١) الخصائص٣/٢٤٧.

(١٢٢) الخصائص٣/٢٤٧.

(٩٠) وأما كتاب العين: ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل فضلاً عن الخليل نفسه، ولا محالة أن هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره رحمه الله. وإن كان للخليل فيه عمل فإنما هو أنه أومأ إلى عمل هذا الكتاب إيماء ولم يله بنفسه ولا قرره ولا حرره. ويدل على أنه قد كان نحا نحوه أني أجد فيه معاني غامضة ونزوات للفكر لطيفة وصنعة في بعض الأحوال مستحكمة. وذاكرت به يومًا أبا علي– رحمه الله– فرأيته منكرًا له. فقلت له: إن تصنيفه منساق متوجه وليس فيه التعسف الذي في كتاب الجمهرة فقال: الآن إذا صنف إنسان لغة بالتركية تصنيفًا جيدًا أيؤخذ به في العربية! أو كلامًا هذا نحوه.

(١٢٤) الخصائص٣/٣١٩– ٣٢٨.

(١٢٥) الخصائص٣/٣٢٨.

(١٢٦) الخصائص٣/٣٣٠.

(١٢٧) الخصائص ٢/ ٤٤٢– ٤٤٧.

(١٢٨) صحيح البخاري كتاب الجهاد.

(١٢٩)سورة الأنبياء جزء الآية ٧٥.

(١٣٠) الخصائص ٢/٤٤٦..

(١٣١) الخصائص٢/ ٤٤٧ و٤٤٨.

(١٣٢) سورة النمل جزء الآية ٢٣.

(١٣٣) الخصائص٣/٢,٢٧٦/ ٢٥٦ وما بعدها.

***

المصادر والمراجع

١– د. أحمد كشك، اللغة والكلام. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة ٢٠٠٧م .

٢– أحمد محمد الدماطي، جميلة العلايلي حياتها وشعرها، دراسة فنية، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية دار العلوم ٢٠٠٨م.

٣– الأشموني، شـــرح الأشموني على ألفية بن مالك، تحقيق حمد حس، وإميل يعقوب، د ار الكتب العلمية ١٩٩٨م.

٤– أبو بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ، دار المعارف، مصر، طبعة ١٩٠٧م.

٦– د.تمام حسان:

– البيان في روائع القرآن، مكتبة الأسرة،طبعة ٢٠٠١م .

– اللغة العربية معناها ومبناها،عالم الكتب، مصر، طبعة ٢٠١٠م.

٧– جلال الدين الســيوطي،همع الهوامع في شــرح جمع الجوامع، دار الكتب العلمية للنشــر والتوزيع, طبعة ١٩٩٨م.

٨– جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، د.ت.

٩– حسن بن الحاج عمر بن عبد الله السيناوني، الكواكب الدرية، ، دار ابن حزم، طبعة٢٠٠٤م.

١٠– د. .حسن طبل:

– البلاغة والنقد، مكتبة الشباب، د.ت.

– المعنى الشعري، دار الشباب، مصر، د.ت.

١١– د. درويش الجندي، نظرية عبد القاهر فى النظم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٢– دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ط١ ترجمة د .تمام حسـان، عالم الكتب، القاهرة، طبعة ١٩٩٨م.

١٣– د. سعد مصلوح:

– العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، بحث منشـــور ضـــمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت، (دراسات مهداة إلى ذكرى الشيخ عبد السلام هارون رحمه الله).

– نحو أجرومية للنص الشـعري، دراسـة في قصـيدة جاهلية مجلة فصـول – الهيئة المصـرية للكتاب– المجلد العاشر – العددان ١– ٢ أغسطس ١٩٩١م.

١٤– د. ســعيد بحيري: دراســات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشــرق، القاهرة، د.ت.

١٥– ســـيبويه، عمرو بن عثمان بن قَنْبر، الكتاب ت: عبد الســـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣ ١٩٨٨م.

١٦– صلاح عبد الصبور

– ديوان تأملات في الزمن الجريح، الأعمال الكاملة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
١٧– ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت، أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر.
١٨– أبو الطيب المتنبي، ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ت، مصطفى السقا، دار المعارف، مصر، د.ت.
٢٠– د.عبد السلام المسدي
– التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط٢/ ١٩٨٦.
٢١– عبد الفتاح المصري: الصّوتيات عند ابن جني في ضَوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب–دمشق العددان :١٥ و ١٦ – السنة الرابعة – رجب وشوال ١٤٠٤ – نيسان "أبريل" و تموز "يوليو "١٩٨٤م.
٢٢– د. عبد الله الخولي، توجيه القراءات الشاذة، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
٢٣– د.عبد الله محمود، في تعليم الصوتيات العربية، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية للناطقين بغيرها.
٢٤– د. عبد الواحد علام: قضايا ومواقف فى التراث البلاغى، مصر د.ت.
٢٥– ابن عقيل، شرح ألفية بن مالك، تحقيق محمد محيي الدينعبد ا لحميد، د ار الفكر، بيروت.
٢٦– علي بن محمد الصبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المكتبة التوفيقية للطبع والنشر والتوزيع.د.ت.
٢٧– أبو الفتح عثمان بن جني:
– الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئه المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٩٩م.
– سر صناعة الإعراب، ت د. حسن هنداوي، دار القلم — دمشق، ط١ ١٩٨٥م.
– المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة ١٩٩٩م.
٢٩– د. غالب فضل المطلبي:
– في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، سلسلة دراسات ٣٦٤، العراق،ط١، ١٩٨٤ .
٣٠– فولفاج هيانمان: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة:د. سعيد البحيري، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣١– مبارك حنون: الصواتة البصرية من اللسانيات المنطوقة إلى اللسانيات المكتوبة دار الكتاب الجديد المتحدة،المغرب ، ط١، ٢٠١٣م.
٣٢– مبارك عبد الرحمن، النظرية النَّقديّة: من الصُّوت إلى النَّص، الصَّادر عن النادي الأدبي في جدة ٢٠١٣م.

٣٣- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط – القاهرة، د.ت.
٣٤- د. محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرّخ.
٣٥- د. محمد حماسة عبد اللطيف:
- الضرورة الشعرية، دار الشروق، مصر، طبعة ٢٠٠٢م.
- لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية –دار الشروق – القاهرة – ط١ ١٩٩٦م.
- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، طبعة ٢٠٠٢م.
٣٦- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت ٢٠٠٦م.
٣٦- محمد العبد، التحليل التداولى للخطاب، مجلة فصول العدد ٢٠، مصر ٢٠٠١م.
٣٧- محمد بن عبد الله بن مالك،شرح التسهيل، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، طبعة ١٩٩٠م.
٣٨-د محمد عبد المطلب:
- البلاغة العلابية قراءة أخرى، الشركة العالمية للطباعة والنشر – لونجمان- مصر ١٩٩٧م.
- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
٣٩- محمد محيي الدين عبد الحميد، عدة السالك، ملحق شرح ألفية ابن مالك .....
٤٠ -د..محمود فهمي حجازي:
-جهود العرب في الدراسات الصوتية، مجلة الثقافة العربية.
- مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة.
٤١- المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس مادة قصد، دار إحياء التراث العربي ببيروت .
٤٢ - المرزوقي: أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
٤٣- مسعود صحراوي، التدولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط١، بيروت٢٠٠٥م.
٤٤- د. نهاد الموسي، نظرية النحو العربي فى ضوء النظر اللغوي الحديث، دار البشير للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٧م.
٤٥- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

٤٦- أبو اليزيد الشـــرقاوي: المعجم الشـــعري عند جماعة أبوللو، رســـالة دكتوراة مخطوطة، بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٩٥م.